تاريخ الإرسال: 2011/02/22 - تاريخ النشر: 2011/06/20

# التيار التداولي في ظل المناهج النقدية المعاصرة [ نشأته وأهم مفاهيمه ]

رتيمي عمر
ماجستير في اللسانيات التداولية
. جامعة عمار ثليجي بالأغواط .

إن دراسة اللغة شهدت تطورا كبيرا في ظل المناهج المختلفة،منتقلة من علم اللغة الـذي يركز على النظام اللغوي (من جهود دي سوسير إلى جهود تشومسكـي) إلى علم اللغة الذي يركز على التوجه التواصلي والوظيفي،ومن هنا « تخلت الدراسات اللسانية المعاصرة على الانكفاء على الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الصوري الصارم، وبمعناها التوليدي التحويلي الذهني المجرد وتجاوزتها إلى آفاق أخرى حيث تلتقي المعرفة اللغوية مع معارف إنسانية أخرى ، وإلى حيث يركز على الكلام وعناصره الأساسية كغرض المتكلم وحال المخاطب أو سياق الحال «[1]وهكذا انبثقت عن هذه الدراسة تحولات هامة مثلت لها العديد من التيارات اللسانية يأتي في مقدمتهـا ( التيار التداولي ) . ولئن كان الدرس التداولي درسا حيويا منتجا يمد الساحة اللغوية والمعرفية بأفكار ورؤى جديدة ، فإن الوعي بجوهر الخطاب وأبعاده، و أسسه ومنطلقاته، ومفاهيمه وتطبيقاته ،أمور ضرورية عند الباحث اللساني .

لذا يأتي الحديث عن التداولية ماهيةً وحدودًا منطويا تحت حقل تتموقع فيه هو الحقل الفلسفي ،وهو ميدان فسيح بدوره عادة .

## 1 ـ ماهية التداولية :

قبل الإشارة إلى تحديد ماهية التداولية وأهم حقولها وأسسها، يجب أن ننوّه بالمعيار الذي نحدده مبدئيا بناءً على تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها، وليس بناء على معيار البنية اللغوية وحدهـا أوالاستعمال اللغوي وحده ، من هنا فما هي أهم التعاريف

1 ـ مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسان العربي ، دار التنوير ،ط 1 ،2008/الجزائر ،ص17 .

التي حاولت رصد هذا التيار حقلا ومفهوما ؟

إن التداولية تعرف عموما كما يلي [2] :

- التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية ، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة ، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية.

- دراسة تهتم باللغة في الخطاب ، وتنظر في الرسميات الخاصة به ، قصد تأكيد طابعه التخاطبي.

- دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت.

- دراسة أو تخصص يندرج ضمن اللسانيات ، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل

وإذا كان هذا الاختلاف في وجهات النظر بين الدارسين حول ضبط المفهوم الدقيق للتداولية ، فإن الأكيد هو القضية التي تعنى بها التداولية وهي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل ، لذا فهي جديرة بأن تعرّف بأنها "علم استعمال اللغة ... [أي] نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية ، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية "[3].

وهو تعريف ينظر إلى التداولية من حيث دراستها للغة بوصفها علما تخاطبيا تواصليا يعنى بالأبعاد الخطابية الاستعمالية للغة ،وليس بوصفها بنية مجردة أو كفاءة عقلية دماغية تؤدى عن طريق الإنجاز الكلامي .

إن الحديث عن التداولية من حيث النشأة والمفاهيم يفرض الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة تمثل بذلك حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها : الفلسفة التحليلية ، علم النفس المعرفي ، علوم التواصل ، اللسانيات ، علوم اللغة... [4]

هكذا ، فمن المفيد إذن أن نذكّر في هذا المدخل الوجيز بالطابع التاريخي لبدايات التداولية، وأهم الأسس النظرية والإبستمولوجية لظهورها، خاصة وأنها توافقت تقريبا

2ـ فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة ، صابر حباشة ، دار الحوار ط1 ،2007 /سورية ، ص: 18ـ19

3ـ مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب – ص : 25 .

4ـ المرجع نفسه : ص 25

مع نشأة العديد من العلوم المعرفية ( علم النفس المعرفي ، فلسفة العقل ، ...) .

## 2 ـ الأسس النظرية و الإبستمية للتداولية :

يندرج الحديث عن الإطار النظري والإبستمولوجي للتداولية في سياق خاص، هو الإطار الفلسفي ممثلا في (الفلسفة التحليلية )التي تعتبر الينبوع المعرفي لأول مفهوم تداولي ،وهو(الأفعال الكلامية)، ولا يهمنا الحديث عن الفلسفة التحليلية باتجاهاتها وقضاياها، إنما ماله صلة بالدرس التداولي وهو(انبثاق الفعل الكلامي)[5] ، وسنقتصر في هذه الصفحات على أهم ما أرساه الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجه – Gottlob frege ) والفيلسوف النمساوي (لودفيغ فيتغنشتاين – L.Wittgenstein ) ثم الفيلسوفان(جون أوستين ـ John Austin) و(جون سيرل ـ John Searle ) ، رغم أن المتأثرين بالتجديد الفلسفي الذي جاء به (فريجه) كثيرون منهم : هوسرل – Husserl ، وكارناب – Carnap...

أ ـ غوتلوب فريجه ـ Gottlob Frege (1848ـ1925) :

إن التحليلات اللغوية التي أجراها (غ. فريجه) على العبارات اللغوية والقضايا ، تجعل القيمة الفلسفية التي جاء بها ثمينة جدا ، فقد كان طرحه يمثل عند بعض الفلاسفة ثورة أو انقلابا فلسفيا جديدا [6] .

من أهم ما جاء به هذا الفيسلوف في نطاق البحث اللغوي هو رؤيته الدلالية، خصوصا تمييزه بين (اسم العلم والاسم المحمول) ، وبين (المرجع والمعنى) ، مطوّرا جهوده الفلسفية في البحث اللغوي لتؤدي فيما بعد إلى الفصل بين اللغة العلمية واللغة العادية ، إذ تعتبر الأولى ضرورية في البرهنة الحسابية ، ويجب أن تكون أحادية المعنى صريحة وليس لها من هدف سوى وضع حقيقة ، أما اللغة العادية فيجب أن تكون متعددة المعاني كي تتمتع بثراء الممكنات التي تضمن لها أداءها المتلائم لوظائفها التواصلية ، وبالمرة فقد وضع(غ. فريجه ) حجر الأساس لعلم الدلالة ومن ورائها التداولية [7] .

لقد استطاع (فريجه) أن يُدرج أهم ما جاء به المنطق الحديث ، بل أحدث قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة من خلال اعتماده التحليل منهجا فلسفيا جديدا طور به النظرية الفلسفية التي تدعى منطقوية (Logicisme)[8]، والتي استهدفت

5 ـ مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ص :26

6 ـ المرجع نفسه – ص : 29 .

7 ـ فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان – ص : 30 .

8 ـ المرجع نفسه : ص – 30 .

بشكل تبسيطي إعادة تأويل الرياضيات باعتماد مبادئ منطقية صرفة ، فكان أول نتيجة لها أنها فضّلت الفلسفة التحليلية على غيرها من النظريات .

وقبل التطرق إلى الفيلسوف النمساوي فيتغنشتاين الذي اقتفى أثر فريجه يجب التنويه بجهود الفيلسوف والرياضي البريطاني (برتراند رسل.B.Russel 1872ـ1970) « فهو يعدّ مثالا ممتازا للسياق الفلسفي والتاريخي الذي نضجت في كنفه التداولية «[9] .

ب / ـ لودفيغ فيتغنشتاين ـ L.Wittgenstein ( 1889ـ 1951) :

إذا كان أي مشروع فلسفي يتوخى حقيقة واحدة مؤداها فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا ، فإنه من الضروري أن يكون من مهام الفلسفة البحث في اللغة وتوضيحها ، من هنا جعل الفيلسوف الإنكليزي ذو الأصل النمساوي (لودفيغ فيتغنشتاين) جل اهتماماته ودراساته على اللغة ، مؤسسا اتجاها فلسفيا جديدا سماه (فلسفة اللغة العادية)، وهو» اتجاه قوامه الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الإنسان العادي ، وأهم ما يميز فلسفة فيتغنشتاين بحثه في المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا ، ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم»[10] .

لقد أكد هذا الفيلسوف في اهتماماته باللغة فكرة مفادها (وصف الاستعمال الشائع للغة ودراسة حالات ورودها ) مبينا بذلك أن الأقوال المنطقية فارغة لأنها من تحصيل الحاصل، مشكّلةً إطارا صوريا ما قبليا للمعرفة العلمية ، وهو الأمر الذي جعله يترك تحليل البنية المنطقية للغة العلمية ويهتم باللغة العادية [11].

من هنا يُعد فيتغنشتاين من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة ، بل من الذين تجاوزوا فكرة حصرالمشكل الفلسفي في اللغة ذاتها إلى تحديده في الاستعمال لها ، وارتبط ذكره في ذهن الدارسين المعاصرين بمشروع ( ألعاب اللغة ) .

- فيتغنشتاين وألعاب اللغة :

عرض فيتغنشتاين فكرة (ألعاب اللغة )عند اهتمامه بدراسة العلاقة بين الفكر واللغة، مبينا أنهما غير منفصلين وأنه لا وجود للغةٍ خاصة بالفرد ،وإنما كل ما في الأمر أن الفرد يتبع في تراكيبه لغة عموم مجتمعه ، مستبدلا معنى التواصلية في اللغة بالتعبيرية [12] ، وفي رسالة نشرها سنة 1921م (رسالة في المنطق والفلسفة) كشف فيها

9ـ فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان: ص ـ 32 .
10ـ مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب – ص : 09 .
11ـ فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان – ص : 31
12ـ خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية – محاولة تاصيلية ـ ط 1/ 2009 بيت الحكمة – الجزائر : ص 51 .

مفهوم هذه الفكرة ،وخلاصتها أن التلاعب بالكلام في مفهومه يتحدد من الأفعال التي نتلفظها وارتباطه بأشكال الحياة ،وانحصاره فيما يباح للمتكلمين ضمن العلاقة التي بينهم وبين عباراتهم، لينتج بذلك عن اختيارات مباحة داخل تنظيم الخطاب ، كونه مجموعة منظمة من وجهات النظر والممارسات والمصالح ، مستهدفا في هذا الطرح قضايا اللغة التي لها معنى في شكلين (قضايا المنطق والرياضيات )و(قضايا واقعية) والتي يرى من خلالها تجسيدين للكلمة في الواقع، فالكلمة « تومئ إلى أشياء معينة ، وتستوعب الإمكانيات التي يمكن للشيء أن يشارك فيها، وهي تحمل في باطنها هذه الإمكانيات كما تفعل (الحرباء) «[13].

هكذا يتلخص مفهوم اللعبة عند فيتغنشتاين في البعد الوظيفي للغة فـ» هي استعمال للغة وفقا لقواعد معينة تتفق مع طبيعتها ومع ما يستدعيه السياق «[14]،وهو ما يعد فيما بعد أحد دعائم ظهور التداولية ، فما جاء به هذا الفيلسوف من دراسات ومحاولات تحليلية انتقد بها فلاسفة الوضعية المنطقية وميز فيها الوظائف الرئيسية للغة من معرفية وانفعالية ،» تكمن فيما تقوم به الكلمات منفردة ، وما الكلمات إلا جزء من اللغة فهي لا تنحصر فيها فحسب ، ولكنها تتجسد في نظام متكامل من خلال الخطاب أيضا «[15].

بهذا استطاع فيتغنشتاين أن يتبنى طرحا جديدا لحل جميع مشكلات الفلسفة، متمثلا في ضرورة فهم اللغة لأنها بمثابة المفتاح السحري الذي يفتح مغاليقها ، وقد بدا أثره واضحا على فلاسفة مدرسة (أوكسفورد)، ولاسيما :ج. أوستين وج. سيرل.

ج ـ جون أوستين ـ John Austin (1911ـ 1961) :

لقد وضع (ج. أوستين) نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية ، متأثرا بجهود سابقه فيتغنشتاين وتحليلاته ، موضحا إسهاماته من خلال تساؤله المشهور :

« quand dire c'est faire? »

والحقيقة أن هذا الكتاب الذي يمثل مجموعة محاضرات قدمها بجامعة هارفارد سنة 1955 في(فلسفة اللغة) ،ونشرت بعد وفاته بهذا العنوان سمحت للدارس أن يبحث عن الغاية التي أرادها صاحب الكتاب من كتابه ، وهي وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية

13 ـ محمد مهران ومحمد مدين : مقدمة في الفلسفة المعاصرة – ط1/ 2004 – دار قباء – القاهرة – ص : 187 .
14 ـ عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ـمقاربة لغوية تداولية – دار الكتاب الجديد المتحدة ـ ليبيا ط1 / 2004 – ص 17 .
15 ـ المرجع نفسه – ص 17 .

موضع سؤال وهو أساس مفاده أن اللغة تهدف بخاصة إلى وصف الواقع .

انطلق أوستين في دراساته المتعلقة باللغة من موضوع (الأفعال الكلامية )بحثا عن معايير الفصل بين الجمل الوصفية (الخبرية)والجمل الإنشائية ،محكّما الصدق أو الكذب من جهة ، ووصف الواقع وتغييره من جهة أخرى ، ممثلا لها بـ(آمرك بالصمت – أعدك بأن آتيك غدا ) مع نظيراتها من قبيل (القط فوق الحصير) و(ينزل المطر)[16].

لقد حاول أوستين أن يرصد العديد من الخصائص للجمل الإنشائية في مقابل الوصفية، محكّما معيار التوفيق أو الإخفاق لا معيار الصدق أو الكذب ، وهو ما قاده إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية [17] : فعل القول ، الفعل المتضمن في القول (وهو موضوع البحث بالنسبة إليه) ، الفعل الناتج عن القول .

ولما كانت دراسة أوستين للفعل عن طريق دراسة اللفظ اللغوي الموضوع لذلك الفعل من خلال القاعدة « أن يُقال كذا يعني أن يفعل كذا « توصل إلى التقسيم المبدئي للأفعال الكلامية : (الحكميّات verdictives – الإنفاذيات- Exercitives الوعديات Commissives- السلوكيات Behabitives- التبيينيات Expositives )[18].

د ـ جون سيرل ـ John Searle ( ولد1932 ) :

يُعدّ جون سيرل الفيلسوف الأمريكي المتصدر لنظرية أستاذه أوستين ، بل هو الذي أعاد تناولها وتطويرها مهتما بالفعل المتضمن في القول ،ومسهما إسهاما كبيرا في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالفعل المتضمن في القول ، وما يتصل بمضمون الفعل جاعلا بذلك للملفوظ بعدين هما :

- القوة المتضمنة في القول و المحتوى القضوي .

فالجملة ( أعدك أن أحضر غدا ) متعلقة بالمقصدين[19](1):

1- الوعد بالحضور .

2- إبلاغ هذا المقصد بموجب القواعد التواضعية المتحكمة في تأويل هذه الجملة من خلال إنتاجها .

16 ـ آن روبول وجاك موشلر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل – تر . سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني – دار الطليعة لبنان – ط1/ 2003 – ص 29 ...32 .

17 ـ طالب سيد هاشم الطبطبائي : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب مطبوعات جامعة الكويت – 1994– ص : 09

18 ـ المرجع نفسه : ص 10 – 11 .

19 – مثال أورده الباحثان آن روبول وجاك موشلر : التداولية اليوم – ص 31 .

لقد عالج سيرل تقسيم أوستين السابق معترضا عليه في عدة مآخذ كان أهمها أنه لم يبن تقسيمه على أصل واحد أو مجموعة أصول متسقة ، وأنه قد تقع بعض الأفعال تحت قسمين كما هو الحال لـ( يصف) في ( الحكميات والتبيينيات) ، كما قد يقع اجتماع أفعال غير متجانسة تماما في قسم واحد ، وغيرها من الاعتراضات التي طرحها ليفضي إلى تقديم البديل مركزا في عرضه على الغرض المتضمن في القول لأنه الجزء الجوهري الذي يتم به وحده نجاح الفعل المتضمن في القول[20] .

لقد استمرت جهود سيرل في التركيز على الأفعال الكلامية سواء من خلال (الغرض المتضمن في القول) أو من خلال ما جاء به من فكرة (اتجاهات المطابقة) [21] ، محاولة منه إعطاء أساس منطقي لدعوى محدودية أنواع الأغراض ، ساعيا في البحث عن إيضاح أكثر ملاءمة ، فقسّم القوى المتضمنة في القول إلى خمسة أقسام هي :(التقريريات Assertives – الوعديات Commissives ـ الأمريات(الطلبيات)Directives ـ الإيقاعيات déclaratives ـ البوحيات Expressives )[22] .

من هنا فإن نظرية (الأفعال الكلامية)التي أكد فيها أصحابها أن العنصر الأساسي في التواصل الإنساني ليس مقطعا داخليا في اللغة ،وإنما هو الفعل الإنجازي للقول تعَد بلا شك ولادةً لنظرية تجدد في العمق تحليل اللغة واللسان .

ثم جاء الكثير من اللسانيين الذين تناولوا فكرة أفعال الكلام بعد أوستين وسيرل مفصلين للعديد من قضاياها لاسيما مفهوم الفعل الإنجازي ، ومفهوم القوة الإنجازية... وغيرها ، أمثال :

فرانسوا ريكاناتي: F.Ricanati اللساني التداولي الفرنسي في كتابه(الملفوظات الإنشائية) الذي قدم فيه ( شجرة الأفعال اللاقولية )[23] .

أوزفالد ديكروO.Ducrot اللساني التداولي الفرنسي في كتابه (القول واللاّقول) محددا نوعا من الأفعال سماه (أفعال الرأي)وهو ما يقابل أفعال الشك والرجحان واليقين في العربية ، ونوعا آخر سماه (أفعال الحجاج) والتي تعنى بالافتراضات المسبقة للرأي[24]، هذان وغيرهما ممن استلهم نظرية الأفعال الكلامية تحليلا ونقدا.

20 ـ طالب سيد هاشم الطبطبائي : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب : ص 25 ...27

21 ـ المرجع نفسه : ص 29

22 ـ المرجع نفسه : ص 31 – 32 .

23 ـ فيليب بلانشيه : التداولية من أوستين إلى غوفمان – ص : 67 .

24 ـ خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية : ص – 101 .

3 ـ أهم حقول التداولية عند الغرب :

نودّ في هذا الجزء تسليط الضوء على أهم الحقول التي عالجت قضاياها التداولية سواء من حيث المفهوم أو من حيث الإجراء ، ذلك أن موضوع التداولية لم يكن دراسة اللغة في حد ذاتها بل دراسة استعمالها ، وهو الأمر الذي لا ينحصر في الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق وعلى مستواها الصوري المجرد فحسب، إنما يتجاوزها إلى أحوال الاستعمال حسب مقاصد المتكلمين والمخاطَبين ،من هنا لا يمكن بأي حال من الأحوال الإلمام بكل الحقول على وجه الدقة والشمول لاتساع مجالها وتعدد ظروف نشأتها فهي لا تكاد أن تكون في تماس مع معارف لسانية أخرى ، أو في تداخل واندماج مع غيرها .

تنحصر أهم هذه الحقول والمواضيع في جملة من القضايا ، نلخصها في[25] :

أ / ـ متضمنات القول : وهو مفهوم تداولي إجرائي مفاده رصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية من قوانين الخطاب ، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره ، ومن أهمها:

- الافتراضات المسبقة : وهي الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل .
- الأقوال المضمرة : وهي المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، وتحقيقها مرهون بخصوصيات سياق الحديث .

ب / ـ الاستلزام التخاطبي (أو المحادثي) : وهو ظاهرة لغوية سماها الفيلسوف غرايس بـ (الاستلزام الحواري) مقترحا نظريته «المحادثية ـ 1975» ونصها أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون ) وبمسلمات حوارية Maximes ، إذا تم خرق إحدى هذه القواعد تحصل ظاهرة الاستلزام التخاطبي ، وجعل مبدأ التعاون ينهض بأربع مسلمات هي :

- مسلمة القدر (الكمية).
- مسلمة الكيف .
- مسلمة الملاءمة .

25 ـ مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ـ ( تفاصيل أكثر : ص – 41...70. )

- مسلمة الجهة .

ج / ـ نظرية الملاءمة (Théorie de la Pertinence) : وهي نظرية تداولية معرفية أرسى معالمها كل من اللسانيين (ديردرويلسون D.Wilson )و( دان سبربر D.Sperber )، ولأنها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية وتبين موقعها بدقة من اللسانيات خصوصا من علم التراكيب اكتست بأهمية بالغة بالنسبة للتداولية ، ولقد استفادت النظرية من مبدأ التعاون الغرايسي ومسلماته الحوارية ، بل وأعادت النظر في نظرية غرايس وقلّصت محتوياتها مقتصرة على مبدأ (الملاءمة) كأساس مركزي يختزل جميع المسلمات المذكورة ، ومن أهم ما ركزت عليه تصورها للسياق .

د / ـ الأفعال الكلامية : يعد مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداوليـة وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية ، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول ، ومن ثم فهو فعل يطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيـا، أو مؤسساتيا ، وقد مر بنا في صفحات سابقة أهم ما جاء به أوستين وسيرل في هذا الباب .

ومن أهم ما ركز عليه بعض الباحثين التداوليين المعاصرين في ميدان حقول التداولية وقضاياها أيضا ، ما يتعلق بـ[26] :

هـ / ـ الملفوظية : وهي اتجاه جديد في دراسة اللغة ينطلق من تطوير جاد للثنائية السوسيرية (لسان ـ كلام) ،مستندا إلى المفاهيم التداولية الجديدة في شرح علاقة اللغة بالمتكلم ، تطورت مع إميل بنفنيست وتابعيه ، وركز هذا الاتجاه على مفهوم الأداء الفردي للغة دون عزله عن شروط التفاعل، لذا فمفهومه يقوم على النظر في الاستخدام الفردي للغة .

و / ـ التفاعل والسياق: يعد موضوع التفاعل من أهم معارف الفلسفة اللغوية الحديثة التي كانت مهدا للتداولية ، وهو مرتبط بفكرة ( الفعل الكلامي) ومن المضامين التي بحثها موضوع التفاعل (دراسة القدرة التواصلية ، شروط فعل التواصل، دراسة السياق والمقام...)،كما يعد السياق محل اهتمام التداولية لأن الدرس التداولي في كلّيته مرهون بارتباط النص والخطاب بالسياقات.

ز / ـ الوظائف التداولية :أهم ما عرض له الدارسون المعاصرون تجاوز فكرة الوظيفة

26ـ خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية : ( تفاصيل أكثر : ص 89...122 )

الوحيدة للغة ( التواصل )إلى تعدد الوظائف أهمها الوظيفة التأثيرية في السلوك والتي تنبني عليها تغيرات في المواقف والآراء ، وإن كان تعدد الوظائف للغة نشأ مبكرا مع (جاكبسون) في مخطط التواصل المعروف وبعده مع (بوهلر وهاليداي...)وغيرهما، أي قبل نضج الدرس التداولي عموما إلا أن المراد هنا هو أهم الوظائف التداولية التي أحدثها (سيمون ديك) في نظرية النحو الوظيفي 1978م لاهتمامه بقيمة العنصر ودوره في الجملة بعدِّه واحدا من مكونات عناصر الإبلاغ العام ، وبوصفه معطى ضمن سياق ومقام قيمته منها ودوره خلالهما .

ح / ـ الحجاج : وهو مجال غني من مجالات التداولية ،منبثق من حقل المنطق والبلاغة والفلسفة يقوم في مفهومه على صناعة الجدل والخطابة ، وهو مبحث تطاله الجهود الكثيرة من الدراسة والتقصّي ، من خلال إحياء التراث الفلسفي والبلاغي وإعادة قراءة له توافق الخطاب الموجود .

والبحث في حقل الحجاج وأهم فصوله وما يتعلق به سيكون أكثر تفصيلا في الأجزاء القادمة من الدراسة سواء من حيث مستواه التأسيسي النظري أو الإجرائي التطبيقي .

هذا عن أهم حقول التداولية وقضاياها باختصار عند الغرب ، ولا شك أن الدارس المعاصر قد تعرّض لها بمؤلفات أدق تفصيلا وأكثر إحاطة وشمولا ، و لقد عرضنا لها على سبيل التمهيد للدراسة القادمة من البحث . ويمكننا أن نوجز لتموقع هذه الحقول والقضايا أو بعضها في الدراسة العربية من خلال جهود الكثير من الباحثين .

## 4 ـ موقع التداولية عند الباحثين العرب:

إذا كان أوستين مؤسس نظرية الأفعال الكلامية هو من أثار الانتباه إلى ذلك النمط من النشاط اللغوي الذي يتضمن في ذاته فعلا سلوكيا ، وتلميذه سيرل هو من وضع التنسيق العلمي لهذه النظرية ضبطا منه لشروط الإنجاز الناجح ، ليأتي غرايس مساهما بنظريته مساهمة معروفة في قواعد التخاطب ، ثم من بعدهم من اللسانيين الغربيين في ميادين شتى تخص مجال الاستعمال اللغوي عموما كالحجاج والسياق والتفاعل ...وغيرها، فإنه ـ من دون شك ـ ستكون هذه بمثابة الروافد التي أصّلت للتداولية عند الباحثين العرب ، وليس عيبا أن يستمد الباحث أصول هذا المنهج ومنطلقاته من الجهد الغربي ، فالتداولية اليوم علم متنام ومجال شديد الانفتاح .

إن الهدف من الدرس التداولي في عمومه البحث في العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية ناجحة ،والبحث عن أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية ،لهذا انصبّت

جهود الكثير من الباحثين العرب على شكلين في الدراسة :

- دراسة أساسها البرهنة على صحة التراث ،ونفوذه وقوته ،وهذا ما عبرت عنه الكتابات اللسانية العربية التي حاولت الربط بين التداولية والتراث اللغوي العربي ربطا آليا ، بمحاولة البحث عن الأبعاد التداولية في مؤلفات القدامى من كتب النحو والبلاغة وأصول الفقه والتفسير .. وغيرها.فقد مارس النحاة والفلاسفة المسلمون والبلاغيون والمفكرون المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلما ورؤية واتجاها ، ممارسة واعية في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة .

- دراسة أساسها رفض الرجوع إلى الماضي لأن البحث التداولي بحث لساني والمعرفة اللسانية معرفة حديثة يجب أن نجردها من أي تاريخية ممكنة ، فذلك مما يسيء إلى الفهم ويبعدنا عن الانخراط في منجزات العصر .

لهذا تمثلت البحوث العربية التي تعد رائدة للدرس التداولي المعاصر في :

أ ـ البحث في شروط التداول اللغوي للمحاورة بأبعادها التواصلية وقيمة المنهج التداولي في تقويم الدراسة التراثية ،لأن له قواعد محددّة وشرائط مخصوصة ، فيما قدمه الباحث (طه عبد الرحمن) في مؤلفاته العديدة على رأسها ( في أصول الحوار وتجديد علم الكلام) و(اللسان والميزان أو التكوثر العقلي).

ب ـ استثمار الوظائف التداولية في اللغة العربية من خلاصة التحليل التداولي للغة ممثلة في جهود الباحث (أحمد المتوكل) في الكثير من مؤلفاته خاصة منها ( الوظائف التداولية في اللغة العربية) و(الوظيفة بين الكلية والنمطية) .

ج ـ استثمارنظرية(الأفعال الكلامية)بين الفلسفة المعاصرة والبلاغة العربية فيما قدمه (طالب سيد هاشم الطبطبائي )والباحث( مسعود صحراوي) في بحثه الموسوم بـ(التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) .

د ـ مشروع قراءة جديدة للبلاغة القديمة وتفعيل الأدوات البلاغية بشكل يتماشى مع الخطاب المعاصر من خلال جهود ( محمد العمري) في(البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) و(البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول) و(في بلاغة الخطاب الإقناعي ).

هؤلاء وغيرهم ممن عكف على دراسة مواضيع تداولية موسعة أبرزها ( الحجاج ) في مؤلفات مشتركة وفردية ، أمثال : حمادي صمود، عبد الله صولة ، حمو النقاري ، أبوبكر العزاوي ، شكري المبخوت ، عبد القادر المهيري ، سامية الدريدي ...وغيرهم .

إن المتتبع لخريطة البحث التداولي العربي يلاحظ أهمية ما تصبو إليه الدراسات اللسانية بضرورة صوغ النظريات القديمة في قالب جديد يتيح المقارنة بينها وبين الحديث من النظريات، وتطعيم الحديثة بروافد جديدة قد تثبت ما اتُّفق عليه في الغرب وقد تدحضه. من هنا لا يمكن فهم الواقع الراهن للسانيات في الثقافة العربية إلا بالاستقراء الدقيق للملابسات التي تحفّ بعملية الالتقاء بين الوافد والمتقبل، لأن من شأن قنوات التقبل أن تشكل المعرفة على هيئة مفارقة للأولى، وتحقق فيها وجها من الجدة، ثم إن السنن المعرفية تفتح أفق تقبل بالقبول أو الإعراض.